المبحث العاشر

نفع الناس بقضاء ديونهم والتجاوز عنهم

الدَّيْن همٌّ بالليل وذلٌّ بالنهار، نعوذ بالله من غلبته ومن قهر الرجال، فالإنسان ـ خصوصاً من يعرف حرمة الأموال ـ إذا استدان يشعر أن الدنيا كلها تطالبه، أما الذين لا اعتبار للحرمات عندهم فلا بأس أن يستقرضوا الناس ثم يجحدوهم .

ولكن أين يذهبون من وعيد الله ـ تعالى ـ في قوله رسوله ﷺ : « ... **ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله** » (١) .

من أجل هذا اهتم الإسلام بالغارمين وحث على نفعهم بإعانتهم في قضاء ديونهم وإزاحة همّ الدَّيْن عنهم .

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل إقراض المحتاجين وإنظار المعسرين والتجاوز عنهم :

❁ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال : « **ما من مسلم يُقرض مسلماً قرضاً مرة إلا كان كصدقتها مرتين** » (٢) .

❁ وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **أُتي الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً ، فقال له : ماذا عملت في الدنيا ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾ قال : يا رب آتيتني مالاً فكنت أبايع الناس ، وكان من خُلقي الجواز ، فكنت أيسِّر على الموسر ، وأنظر المعسر ، فقال الله تعالى : أنا أحق بذلك منك ، تجاوزوا عن عبدي** » (٣) .

---

(١) البخاري برقم (٢٣٨٧) ك الاستقراض .

(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٩٠١) وأشار بانه صحيح لغيره .

(٣) مسلم برقم (١٥٦٠) ك المساقاة .

✿ وفي رواية : « **إن رجلاً لم يعمل خيراً قط ، وكان يداين الناس فيقول لرسوله : خذ ما تيسر واترك ما عَسُر ، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا ، فلما هلك ، قال الله له : هل عملت خيراً قط ؟ ، قال : لا ، إلا أنه كان لي غلام ، وكنت أُداين الناس ، فإذا بعثته يتقاضى قلت له : خذ ما تيسَّر واترك ما عَسُر وتجاوز ، لعل الله يتجاوز عنا ، قال الله ـ تعالى ـ قد تجاوزت عنك** » [١] .

فانظر كيف كان جزاء من تجاوز عن المعسرين فأقالهم من عثراتهم ، تجاوز الله عنه ، وأقاله من عثرة ما بعدها عثرة !! .

ويبيِّن ـ أيضًا ـ أن من يقرض الناس ويُنظرهم إذا أعسروا يُحسَب له بضعفي ماله صدقة ، فعن بريدة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من أنظر معسراً فله كل يوم مثله صدقه** » .

ثم سمعته يقول : « **من أنظر معسراً فله كل يوم مثليه صدقة** » ، فقلت : يارسول الله ، سمعتك تقول : « **من أنظر معسراً فله كل يوم مثله صدقة** »،ثم سمعتك تقول : « **من أنظر معسراً فله كل يوم مثليه صدقة** » !!، فقال : « **كل يوم مثله صدقة قبل أن يَحُلّ الدَّيْن ، فإذا حلَّ فأنظره فله كل يوم مثليه صدقة** »[٢] .

وهذا فضل يغفل عنه كثير من الناس ، فمن ذا الذي يقرض أخاه وهو يستحضر هذه النية ؟ .

ووعد كذلك ـ النبي ﷺ ـ من ينظر المعسرين ويتجاوز عنهم بأن يظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

✿ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من أنظر معسراً أو وضع له ، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله** » [٣] .

---

(١) سُنن النسائي برقم (٤٦٩٦) ك البيوع .

(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٩٠٧) وقال : رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

(٣) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٩٠٩) وقال : رواه الترمذي وقال : حسن صحيح .

❁ وعن أسعد بن زرارة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سرّه أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، فلييسر على مُعسر أو ليضع عنه** » (١) .

ولم تكن هذه الأقوال إرشاداً نظريًا من رسول الله ﷺ بل وقائع عملية تشهد بتعاون المجتمع الإسلامي على عهد رسول الله ﷺ في قضاء ديون المدينين .

نماذج عملية للتجـــاوز عن المعسرين :

[١] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : أصيب رجل في عهد رسول الله ﷺ في ثمار ابتاعها فكثر دَيْنه ، فقال رسول الله ﷺ : « **تصدقوا عليه** » ، فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دَيْنه ، فقال رسول الله ﷺ : « **خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك** » يعني الغرماء (٢) .

فهذا الحديث فيه قصة رجل كان يتاجر في الثمار فخسر في تجارته فلحقه بذلك الديون وتكاثرت عليه ، فحث النبي ﷺ أصحابه على إعانته فأعانوه ، وحث الغرماء ـ أي أصحاب الديون ـ أن يتجاوزوا عنه ، وهذا تنفيذ عملي من رسول الله ﷺ لإرشاد أمته إلى نفع الآخرين بقضاء ديونهم والتجاوز عنهم .

قال الدكتور عبد العظيم بن بدوي معلقاً على هذا الحديث :

« فعلى أصحاب الأموال وذوي والثراء أن يتفقدوا الغارمين من الفقراء والأغنياء على حدٍّ سواء ، فإن الرجل إذا أوتى من المال نصيبًا ثم كان عليه من الدَّين أكثر مما عنده فهو من الغارمين ، فوجب على أصحاب الأموال أن يقضوا عنه دينه ، حتى يخرجوه من هذه الكربة التي نزلت به ، ولو أن أصحاب الأموال والغنى والثراء ، ولو أن رجال الأعمال تفقد بعضهم بعضًا وبحثوا عن الغارمين منهم وقضوا دَيْنهم لوقف الرجل على رجليه مرة ثانية ، وسعى فرزقه الله ولم يعد

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٩١٢) وقال : رواه الطبراني في الكبير وله شواهد .
(٢) مسلم برقم (١٥٥٦) .

يحتاج إلى الناس بعد ذلك ... » [١] .

[٢] وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه تقاضى ابن أبي حدرد ديناً كان له عليه في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته ، فخرج إليهما حتى كشف سِجْف حجرته فنادى: «**يا كعب** » قال: لبيك يا رسول الله ، قال : « **ضع من دَيْنك هذا** » ، وأومأ إليه ، أي : الشطر ، قال : لقد فعلت يا رسول الله ، قال : «**قم فاقضه** » [٢] . فانظر إلى التطبيق العملي في التجاوز عن المعسر استجابة لأمر رسول الله ﷺ .

[٣] وعن عبد الله بن أبي قتادة ، أن أبا قتادة كان له دَيْن على رجل وكان يأتيه يتقاضاه فيختبئ منه ، فجاء ذات يوم فخرج صبي فسأله عنه فقال : نعم هو في البيت يأكل خريزة ، فناداه فقال: يا فلان اخرج فقد أُخبرت أنك ها هنا ، فخرج إليه فقال : ما يغيبك عني ؟ ، فقال : إني معسر وليس عندي شيء .

قال : آلله إنك مُعْسر ؟ ، قال : نعم .

فبكى أبو قتادة ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من نَفَّس عن غريمه ـ أو محا عنه ـ كان في ظل العشر يوم القيامة** » [٣] .

[٤] وواقعة أخرى فيها أن رجلاً من الصحابة يقال له أبو اليسر كان له على رجل دَيْن ، قال : فأتيت أهله فسلمت فقلت : أثَّم هو ؟ .

قال : لا ، فخرج عليّ ابن له ... فقلت : أين أبوك ؟ .

فقال : سمع صوتك فدخل أريكة أمي .

فقلت : اخرج إليَّ فقد علمت أين أنت ، فخرج .

فقلت : ما حملك على أن اختبأت مني ؟ .

---

(١) د. عبد العظيم بن بدوي ، أحباب الله ، (ص ١٤٤٣) ط. دار الكتاب المنير ، القاهرة .

(٢) البخاري برقم (٤٥٧) ك الصلاة ، باب التقاضي في المسجد .

(٣) مسند الإمام أحمد برقم (٢٢٧٢٧) ومسلم بمعناه برقم (١٥٦٣) .

قال : أنا والله أحدثك ثم لا أكذبك ، خشيت والله أن أحدثك فأكذبك أو أعدك فأخلفك ، وكنت صاحب رسول الله ﷺ ، وكنت والله مُعْسراً .

قال : قلت : آلله ؟ .

قال : آلله ؟ .

قلتَ : آلله ؟ .

ثم قال : فأتى بصحيفة فمحاها بيده ، ثم قال : فإن وجدت قضاءً فاقضني وإلا فأنت في حلٍّ ، فأشهدُ بصر عيني هاتين - ووضع إصبعيه على عينيه - وسمع أذنيّ هاتين ووعاه قلبي - وأشار إلى مناط قلبه - رسول الله ﷺ وهو يقول : « من أنظر مُعْسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله » (١) .

وفي هذا الحديث والذي قبله قصتان فيهما رجلان طبقًا عمليًا ما وجَّه إليه النبي ﷺ من الرفق بالمدين وإنظاره أو التجاوز عنه ، وذلك امتثالاً منهم لأمر رسول الله ﷺ ويقينًا في صدق ما وعد به من الخير لمن فعل مثل هذا الفعل .

نداءٌ رفيق :

ونختم هذه الطريقة العملية لنفع الناس بقضاء ديونهم والتجاوز عنهم بهذا النداء الإلهي الرفيق : ﴿ **وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** (٢٨٠) ﴾ [البقرة : ٢٨٠] .

« إنها السماحة الندية التي يحملها الإسلام للبشرية ، إنه الظل الظليل الذي تأوى إليه البشرية المتعبة في هجير الأثرة والشح والطمع والتكالب والسعار ، إنها الرحمة للدائن والمدين والمجتمع الذي يظل الجميع ... إن المعسر في الإسلام لا يُطارَد من صاحب الدَّيْن أو من القانون والمحاكم ، إنما يُنظر حتى يُوسر ... ثم إن

(١) مسلم برقم (٣٠٠٦) .

المجتمع المسلم لا يترك هذا المعسر وعليه دين ، فالله يدعو صاحب الدَّيْن أن يتصدق بدَيْنه إن تطوع بهذا الخير ، وهو خير لنفسه كما هو خير للمدين ، وهو خيرٌ للجماعة كلها ولحياتها المتكافلة ... ثم يجيء التعقيب العميق الإيحاء ، الذي ترجف منه النفس المؤمنة ، وتتمنى لو تنزل عن الدَّيْن كله ، ثم تمضي ناجية من عذاب الله يوم الحساب : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** (٢٨١) ﴾ [البقرة : ٢٨١] (١) .

(١) في ظلال القرآن (١ / ٣٣٢ ، ٣٣٣) .